

أزمة مياه مقبلة في العالم

الكاتب



محمد خليفة

محمد خليفة

تشير الدراسات إلى أن المياه ستكون القنبلة الموقوتة التي ستفجر صراعات في مناطق عدة من العالم، لأن الماء هو أساس الحياة والنمو للأحياء في الأرض جميعاً، فمنه تنشأ الحياة بكل أشكالها ودرجاتها، سواء أنبت الزرع مباشرة حين يختلط بالأرض، أو كوّن الأنهار والبحيرات العذبة. وقصة الماء في الأرض وتوقف الحياة عليه في كل صورها وأشكالها، هي أحد الأسرار الغامضة التي ترتبط بظهور الحياة نفسها على هذه الأرض. ومن هنا تكمن أهمية الحفاظ على المياه العذبة خاصة بعد أن تفاقمت الأزمات المتعلقة بها في العالم سواء أكان ذلك بسبب التلوث البيئي من جهة وزحف العمران على الطبيعة وظهور المدن الضخمة، أو بسبب الاحترار المناخي من جهة أخرى. وكل ذلك أدى إلى ندرة المياه لاسيما العذبة منها في مختلف مناطق العالم.

وما زاد من سوء البلاء هو ارتباك السياسة الدولية حيث بات العالم على مشارف حرب كبرى بعد أن انفتحت أبواب العداء بين روسيا والصين من جهة، ودول الغرب من جهة أخرى. وهذه العداوة إن لم تؤد إلى وقوع حرب بصورة مباشرة، يحسم أحد الطرفين النصر فيها، وتكون له الغلبة كما حدث في نهاية الحرب العالمية الثانية التي أسفرت عن الثنائية القطبية، الاتحاد السوفييتي السابق والولايات المتحدة، فإنها ستقسم العالم لسنوات طويلة مقبلة، ما سيسهم في تعقيد العمل الدولي، وربما انكفائه بشكل كامل، وهذا بالطبع ستكون له تبعات كارثية على إدارة أدوات الصراع، خاصة الموارد العالمية، لا سيما المياه العذبة، التي تعدّ حاجة ضرورية لحياة الإنسان والنبات والحيوان.

وفي الحقيقة هناك ما يكفي من الماء للجميع، فمعظم دول العالم تقع على خط الاستواء وفي المناطق المدارية أو على حواف القطب الشمالي التي تكثر فيها الأمطار والثلوج، أو على ضفاف الأنهار الكبرى العابرة للحدود. كما أن الدول الواقعة في منطقة الصحراء الكبرى هي أيضاً غير فقيرة بالمياه؛ فقد كشفت دراسة أعدّها مركز المسح الجيولوجي البريطاني وكلية لندن، أنه «توجد أكبر كميات المياه الجوفية في طبقات رسوبية في شمال قارة إفريقيا في ليبيا

والجزائر ومصر والسودان. وقدرُوا أن مخزونات المياه الجوفية في أنحاء القارة تعادل 100 ضعف ما على سطحها من مياه.

يقول الباحثون إن بعض أكبر تلك المخزونات موجود في أشد المناطق جفافاً داخل وحول منطقة الصحراء الكبرى على عمق يتراوح بين 100 و250 متراً تحت سطح الأرض. لكن استخراج تلك المياه الجوفية ومدّها بأنايب أو ممرات من أماكنها في الصحراء إلى المدن يتطلب إمكانيات مالية كبيرة، ولا تزال قصة «النهر العظيم» في ليبيا مثلاً للتكاليف الكبيرة لمثل تلك المشاريع العملاقة. لكن ما يهدد ذلك ليس الكلفة المادية الباهظة فقط، بل التوسع العمراني غير المدروس في مختلف دول العالم، وما يترافق معه من بنى تحتية كبيرة، فقد أدى ذلك إلى تخريب المياه الجوفية والقضاء على مصادر المياه المتمثلة بالأنهار أو البحيرات والينابيع التي بات يغلب عليها التلوث العضوي الناجم عن مخلفات الإنسان، أو التلوث الكيماوي الناتج عن مخلفات المصانع والورش الصناعية والمركبات، ويلعب سوء الإدارة والفساد وعدم كفاية المؤسسات المناسبة والبركود البيروقراطي ونقص الاستثمار في كل من القدرات البشرية والبنية التحتية المادية، أدواراً كبيرة في نقص موارد المياه العذبة حتى أصبح البشر في غالبية الدول مضطرين إلى شراء المياه المعبأة رغم كثرة المياه من حولهم. لقد دفع هذا الواقع المزري المؤسسات الدولية المعنية إلى دقّ جرس الإنذار، والتحذير من خطر نقص المياه على الحياة على الأرض. فقد قال مؤتمر الأمم المتحدة للمياه ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في تقرير مشترك صدر في نيويورك العام الماضي، إنّ نحو ملياري شخص يفتقرون إلى مياه شرب مأمونة في حين يفتقر 3.6 مليار شخص إلى خدمات صرف صحي موثوق بها.

ومن منطلق حرص دولة الإمارات العربية المتحدة على أن تكون المياه متاحة للجميع، جاءت مبادرة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، في شهر فبراير من هذه السنة، بتشكيل «مبادرة محمد بن زايد للمياه». وخلال الاجتماع الذي انعقد الأسبوع الماضي برئاسة سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية، رئيس مجلس مبادرة محمد بن زايد للماء أشاد سموه بأهمية المبادرة والتقدم المحرز في مسابقة «إكس برايز للحد من ندرة المياه»، مؤكداً سموه أن دولة الإمارات ملتزمة بالعمل المستمر والإسهام الفاعل في معالجة تحديات ندرة المياه الملحة محلياً وعالمياً.

لا شك أن تلك المبادرة الكريمة من صاحب السمو رئيس الدولة تعكس قيم الإمارات وأصالتها، كما تدل على أن الإمارات دولة وقيّة لمبادئها وتعهداتها، وهي تعمل بكل جدّ وتصميم، سواء بشكل منفرد أو من خلال العمل الدولي المشترك، من أجل وضع تلك المبادرة الكريمة موضع التطبيق، والسعي من أجل توفير المياه العذبة لمختلف الشعوب المحتاجة في كل مناطق العالم.

medkhalifaaa@gmail.com